E-ISSN: 2706-8927
P-ISSN: 2706-8919
www.allstudyjournal.com
IJAAS 2021; 3(1): 266-276
Received: 07-10-2020
Accepted: 09-12-2020

پوهندوی دکتور عبدالرافع علیمی
الأستاذ بکلیة الشریعة بجامعة البیرونی

Corresponding Author:
پوهندوی دکتور عبدالرافع علیمی
الأستاذ بکلیة الشریعة بجامعة البیرونی

اللغة و الدین والمعتقدات

پوهندوی دکتور عبدالرافع علیمی

التمهید

الحمد لله والصلاة والسلام على أفصح العرب وأبلغهم بياناً سيّدنا محمد القائل: (**أنا أفصح العرب بيد** أني من قريش) وعلى آله و صحبه وسلم. أما بعد

فإن الله تعالى أرسل رسله إلى الناس بشرائعه ليبينوها لهم ويشرحوها لهم، وأكبر وسيلة أعتمد عليها هؤلاء أثناء أداء رسائلهم هي اللغة، وعلى هذه يقول سبحانه وتعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ وقد أكد الله تعالى لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن وظيفته ومهمته التبيين ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ وهذا التبيين والتفهيم لا يتم إلا باللغة واللغة العربية التي أنزل بها القرآن الكريم كانت أفصح اللغات، لذا أختارها الله لتكون لغة الوسيلة لبيان شرائعه فى العالم قال تعالى: ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾، وفي هذا البحث المتواضع الذي عنوانه (اللغة والدين والمعتقدات) أحاول فيه أن أوضح علاقة اللغة بالدين و دورها الذي تلعبها في الدين، ولتوسع هذا الموضوع وعلمي المتواضع، أقتصر على الدين الإسلامي واللغة العربية، لأن هما اللذان يهمان أكثر فأكثر، و كل واحد منهما له دور في الآخر، الإسلام له دور في إبقاء اللغة العربية والاحتفاظ ببنيتها الأصلية إلى يومنا هذا، كما أن للغة العربية دور في نشر الإسلام و بيان شرائعه للناس، والهدف الرئيس من هذا البحث هو بيان مكانة اللغة العربية وعلاقتها بالإسلام، و تحقيقاً لهذا الهدف قد تطرقت إلى الموضوعات التالية:

ماهية اللغة، ماهية الدين، ضرورة الإنسان بالدين، اللغة العربية وعلاقتها بالدين الإسلامي، اللغة العربية عبر التاريخ الإسلامي، تأثير الإسلام في اللغة العربية، مكانة اللغة العربية في الإسلام، هل اللغة العربية لغة العرب خاصة أم لغة كافة المسلمين؟

ومن خلال هذه الموضوعات يمكن أن نصل إلى ما أسعي إليه في هذا البحث، وأسأل الله عز وجل التوفيق والسداد وهو الولي وعليه التكلان.

مصطلحات البحث: الدين، اللغة، مكانة، العلاقة، التأثير.

الدراسات السابقة

كتب العلماء المهتمين باللغة والدين حول الموضوع كتباً نفيسة و ألفوا فيها رسائل مهمة مستقلة أو كتبوا الموضوع خلال تأليفاتهم منذ القرون السابقة، و من الكتب المعاصرة التى استفدت منها فى كتابة هذا البحث:

ـ تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي للدكتور حسين سليمان قورة (1986 م)، دار المعارف، قاهرة. الطبعة الثالثة.

ـ عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة للدكتور فوزي محمد حميد (1992 م). الناشر: دار حطين، دمشق.

ـ اللغة والدين والهوية (2000 م)، للدكتور عبد العلي الود غيري.

ـ لماذا اللغة العربية تاليف دكتور عدنان علي الرضاء النحوي، چاپ اول، دار النحوي للنشر والتوزيع، سال 1998م.

ـ المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، تاليف استاذ سهيل زكار – دار الكتب العربي _ دمشق _ قاهره، ب ت.

ـ زبان شناسي عربي، تاليف داكتر محمود فهمي حجازي، ترجمه سيد حسين سيدّي، انتشارات آستان قدس رضوي 1379 خورشيدي.

ـ علم و دين نوشته ايان باربور، ترجمه بهاء الدين خرمشاهي، مركز نشر دانشگاهي، چاپ پنجم 1385 خورشيدي.

أما اللغة الإنساني لم تحتفظ بوحدتها كما هي بدأت بل تشعبت إلى شعوب مختلفة ومتباينة، يقول الدكتور حسين سليمان قورة في كتابه تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي:
«إن اللغة الإنسانية لم تحتفظ بالوحدة التي بدأت بها ولكنّها إنشعبت إلى لغات متعدّدة ولهجات متباينة وقسمّها بعض العلماء إلى ثلاثة أقسام وفصائل:
الأولى: فصيلة اللغة الهندية _ الأوربية منها اللغة الفارسية والانجليزية والفرنسية.
والثانية: اللغة السامية_ الحامية ومنها اللغة العربية واللغة العبرية.
والثالثة: فصيلة اللغات الطورانية ومنها على ما قيل اللغة التركية.
ويرجع السبب في هذا الإنشعاب والاختلاف إلى ثلاثة عوامل:

- البيئات المختلفة التي عاشت اللغة الإنسان فيها.
- المساحات الشاسعة التي انتشرت بين ربوعها.
- الجماعات العديدة التي تحدثت بها »[1].

ماهية الدين

تعريف الدين لغتاً و اصطلاحا:
أما كلمة الدين عند اللغويين: الدين في اللسان العرب: الدين بالكسر الجزاء، وقد دنته ديناً بالكسر، الإسلام والقهر والغلبة والاستعلاء والسلطان والحكم والتدبير والتوحيد واسم لجميع ما يتعبد به الله عز و جل به والملة والورع.
وفي معجم الوسيط:
(الدّين: الديانة، و اسم لجميع ما يعبد به الله. والملة. والإسلام. والاعتقاد بالجنان والإقرار باللسان وعمل الجوارح بالأركان. والسيرة والعادة. والحال. والشأن. والورع. والحساب. والملك. و السلطان. والحكم. والقضاء. والتدبير؛ ج. أدين، و ديون، وأديان. و يقال قوم دين، أي دائنون)[2].
أما الدين عند العلماء: (اصطلاح الدين يستخدم في الإسلام بمقابلة الكلمة (Religion) بشكل عام و هذا يشمل الدين الإسلامي والأديان التي كانت قبل الوحي بالعقيدة ويتضمن الاصطلاح دلالة على الديونية والالتزام بمعنى واجبات المؤمن تجاه الله في علوم الدين الإسلامي، و يشمل الدين كلاً من العقيدة والإيمان والعمل، أي ممارسة مفاهيم الشريعة، و كثيراً ما يقابل بتعبير الدنيا أي مجال الحياة الدنيوية)[3].
يقول قرضاوي في كتابه مدخل لمعرفة الإسلام ناقلاً عن محمد عبدالله دراز: (الدين هو الاعتقاد الجازم بوجود ذات _ أو ذوات _ غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف و تدبير للشئون التي تعني الإنسان، الاعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة و رهبة و في خضوع و تمجيد)، و بعبارة موجزة هو: الإيمان بذات الإلهية، جديرة بالطاعة والعبادة.
هذا إن نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية بمعني التدين، أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجية فنقول: هو جملة نواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية وجملة القواعد العلمية التي ترسم طريق عبادتها، فهذا التعريف يشمل الدين من حيث هو و لو كان قائماً على الشرك والوثنية، و ذلك لأن القرآن

أسباب البحث

تنطلق أسباب هذا البحث من السؤالين الرئيسين:

- ماهي العلاقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي؟
- هل اللغة العربية لغة العرب خاصة أم لغة المسلمين جميعاً؟
- فرضيات البحث
- تنطلق الدراسة من فرضيات ننتظمها ملخصاً فيما يلي:
- بين اللغة العربية و الدين الاسلامي علاقة وتيدة لا تقبل الإنفكاك أبداً.
- اللغة العربية هي اللغة الأولى لجميع المسلمين مهما كانت لغتهم الأولى.

منهج البحث

يستند هذا البحث إلى:

- المنهج الوصفي، التحليلي، التحقيقي، التاريخي.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة والدين والمعتقدات

ماهية اللغة

إذا كانت اللغة هي وسيلة التخاطب والتفاهم فإنها تشكل أيضاً مادة حيوية للتأثير وتعتبر قاعدة لتحويل التوجيهات والعقايد، و خلالها يتم تحطيم إمبراطوريات لإيجاد بدائل عبر تعابير البلاغية، أي ما يمكنه من إحداث تغيير في العقول والتفكير، و قد يكون هذا التغيير على قواعد و أسس عاطفي أو على قواعد عقلي أو على قواعد أسطوري و أوهام. ونلاحظ في اغلب تحولات التي نعرفها في العالم القديم أنها كانت تتم بواسطة إمكانات الخارقة لكل مصلح أو نبي أو رجل سياسي، وفي قدرته على إخضاع سلطة اللغة التي يوحي بها لتثبيت منهاج دعوته، حيث يأتي إعجازها مستوعباً لشروط اللغة المتداولة وتطويع بلاغتها للتأثير في الأتباع وهذا ما جعل العلاقة بين اللغة والدين تأخذ بعداً متمايزاً في أي اصطلاح قادم عند كل جماعة من الجماعات البشرية. فإذن اللغة بصفة عامة وبمعناها الواسع أداة التفاهم و وسيلة التعبير بين الطوائف و المخلوقات.
فالحيوانات بأنواعها المختلفة تتفاهم كل قبيلة أفرادها بلغتها الخاصة وإن لم تكن ذات مقاطع وحروف وكلمات، ومن ثم نجد عند كل حيوان لغتها الخاصة التي تصدرها عند الحاجة عند روية بعضهم بعضاً، عند إحساسهم بالخطر أو غير ذلك، وهناك بعض الأساليب من التعبير التي لا يقوم على الأصوات بل يؤدي وظيفته بالحركة أو اللمس أو الشم أو نحو ذلك. و إشارة إلى هذه، اللغة المنسوبة لغير الإنسان جاء في القرآن الكريم ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16].
و إذا انتقلنا إلى لغة الإنسان نجده أنها: العبارة التي يكشف بها المتكلم عن نفسه و يوضّح بها مقصوده وهي تتميز بالمقاطع والحروف والكلمات والجمل ذات التركيب الخاص.
و في نشأة لغة الإنسان هناك نظريات مختلفة، النظرية الأولى تقول: إن الأصل في نشأة اللغة هو الإلهام الإلهي. والنظرية الثانية: ترجعها إلى المواضعة والاتفاق والارتجال، و من المسلمين ابن سنان الخفاجي يقول في كتابه سرّ البلاغة: إن أصل اللغة مواضعة لا توقيف.
و نظرية الثالثة تميل إلى أن الفضل في نشأتها الأولى هي الغريزة الخاصة التي زود بها جميع الأفراد النوع الإنساني مما يقدّره على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به.

---

[1] . قورة. حسين سليمان قورة (1986م). تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، الطبعة الثالثة_ دار المعارف القاهرة. صص 27-33.
[2] . ابراهيم انيس ورفاقه (1986م). المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الدال.
[3] . زكار، سهيل زكار. (ب ت). المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العا لم ج: 1 ص: 419. الناشر: دار الكتب العربي – دمشق – القاهرة.

يناقشون في إبراهيم وديانته، وكل فريق كانوا يقولون إنه كان يهودياً أو نصرانياً: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: 67]. وقال الله تعالى:

﴿ وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132].

و يقول الله تعالى حكاية عن موسى: ﴿وَ قَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: 48].

و أيضاً يقول الله حكاية عن أصحاب عيسى:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 41]. و محمد خاتم الأنبياء بعث بالإسلام _ دين الرسل جميعاً _ مصدقاً لما بين يديه من الأديان و مصححاً لما أصابها من تحريف و تبديل، متمماً مكارم الأخلاق التي جاء بها رسل الله جميعاً، يقول الله مخاطباً محمداً عليه السلام: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: 8].

ضرورة الإنسان بالدين

إن العقيدة الدينية عنصر أصيل يساير الطبيعة الإنسانية منذ أقدم العصور، و لهذا السبب إن الناس عبر التاريخ الحياة الطويل قد مرت بهم أطوار دينية متباينة الاتجاهات، مختلفة المشارب، حينما لم يهتدوا إلى التوحيد، عددوا آلهتهم و جعلوا لكل مظهر من مظاهر الحياة إلها.

و لقد كانت الرسل و الأنبياء عليهم السلام في أثناء هذه الرحلة الطويلة للبشرية، معالم طريق لهداية الناس إلى حيث ينبغي الخضوع و تجب العبادة و تصحيحا لمعنى العقيدة الإنسانية في البحث عن الإله و لكن بتدرج مع مستوى حضارتهم الفكرية لكي يصحح دنياهم.

و حينما نتحدث عن وظايف الدين التي تبرز أهمية الحياة للناس نركز على الدين الإسلامي لأنه جماع الأديان السابقة و المتناسب تطوراً مع أرقى ما وصل إليه الإنسان من فكر و معرفة و حضارة علمية وعمرانية.

و لم يكن من المعقول أن يخلق الله الإنسان و يسكنه الأرض دون أن يشرع له من الأسس و القواعد و أنماط التعامل و السلوك ما ينظم حياته فيها، و يعبّد له طريق الاتصال بربه الذي خلقه و بأخيه الإنسان الذي يقاسمه الوجود و العيش والحياة، فلقد كان هذا التشريع ضرورة طبيعية اقتضتها ظروف معيشة هذا الإنسان في الأرض ليصل إلى ما يرضى خالقه الذي قدر فهدى و أنشأ الوجود لغايات نبيلة مستهدفة، وهناك ضرورة أخري لهذا التشريع نبعت من الحكمة التي اقتضت أن ينزل آدم و حواء على الأرض بعد أن تتأجج نار العداوة بينهما و بين إبليس الذي عصى ربه و طرد من رحمته لعدم امتثاله لأمر الله بالسجود لآدم، و من ثم نصب نفسه يعد طرده و إغوائه أداة الإضلال والانحراف عن شرع الله لآدم و ذريته من بعده، قال الله تعالى حكاية عن الإبليس:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِم وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 16].

و إذا فالرءوف بعباده كيف يترك عباده دون هداية في هذا الصراع العنيف مع ذلك العدو العنيد اللدود، و دون التسليح بالإرشاد المبين في مقابلة ذلك الإصرار العنيد من الشيطان إلى إضلال الإنسان و ضمهم بكل حيلة خبيثة إلى أعوانه و زمرته المرجومين، أن الإنسان بدون هذه الهداية و ذلك الإرشاد سوف سمّاه ديناً كما في قوله تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون:6] و قوله تعالى: ﴿وَ مَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الكافرون: 6]، ثم تابع كلامه و قال: قد عرّف علماء الإسلام الدين بأنه: «وضع الإلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إلى ما فيه الصلح في الحال و الفلاح في المآل»[4].

فهو مرادف لكلمة نظام أو منهج في اصطلاحات الحديثة مع شمول هذا المفهوم للإيمان والاعتقاد في القلب والسلوك في الواقع، والشريعة لكل جوانب المجتمع الإنساني.

ويعرّف الدين الدكتور علي احمد مدكور في كتاب نظريات المناهج التربوية ويقول :

(الدين في التصور الإسلامي _ عقيدة و شريعة أي أنه تصور اعتقادي ينبثق عنه نظام أو منهج لحكم الحياة بما أنه تصور اعتقادي و كل منهج لحكم الحياة هو _ دين _ فدين جماعة من البشر هو المنهج الذي يصرف حياة هذه الجماعة مع شمول مفهوم للإيمان والاعتقاد في القلب والسلوك في الواقع)[5].

قال دكتور فوزي محمد حميد في كتابه عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة: الدين هو الانقياد والطاعة والالتزام بمبدأ، أو عقيدة يدين بها و يخلص لها، والتدين: فطرة داخل الإنسان وغريزة في ذاته و هو جزء من كيانه و وجوده كبقية الغرائز التي تكوّن النفس البشرية ... و هذه الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية من أشدها همجية و أدناها حضارة حتى أرقاها فكراً و تطوراً وهي موجودة فيها منذ فطرته الأولى. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيه جدعاء؟»[6].

و من المعروف لدى الدارسين: أن الأديان نوعان:

- الأديان السماوية أو الكتابية على معني أن لها كتاباً نزل من السماء يحمل هداية الله للبشر مثل اليهودية والنصرانية والإسلام.
- الأديان الوثنية أو الوضعية تنسب إلى الأرض لا إلى السماء، وإلى البشر لا إلى الله، مثل البوذية والهندوسية والمجوسية وغيرها من الأديان.

و الأصل إن الأديان السماوية واحدة في أصولها العقائدية وإن اختلفت شرائعها باختلاف أزمنتها وهذا ما بينه القرآن و أكّده:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إليه اللَّهُ يَجْتَبِي إليه مَن يَشَاء وَيَهْدِي إليه مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

و قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: 48].

حينما نقرأ القرآن نجد أن دين الله واحد، أنزل الله به جميع كتبه و بعث به جميع رسله، وهو (الإسلام) يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلام**﴾ [آل عمران:19]، فإذن كل الرسل كانوا مسلمين و دعوا إلى الإسلام كما رد على اليهود والنصارى حينما كانوا

4. القرضاوي. يوسف القرضاوي (2005م). مدخل لمعرفة الإسلام، مقوماته، خصائصه، أهدافه، مصادره. صص/9 - 10.. الناشر: مكتبة وهبة القاهرة.
5. مدكور. علي احمد (1997م). نظريات المناهج التربوي. ص: 138. الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.
6. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. جزء 5، ص:182. الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ. حميد، فوزي محمد حميد (1992م). عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. ص: 8. دمشق دار حطين.

يختلف في شأنها مسلم أو كافر و لم ينكرها أحد من قوم محمد صلي الله عليه وسلم الذي نزلت في عهدهم الرسالة المحمدية، فإن الله رسّخ هذه الحقيقة و ثبتها في أكثر من موضع في كتابه، فهناك ثلاثة عشر موضع أكّد الله فيها أن هذا القرآن نزل بلسان عربي يعني باللغة العربية التي يفهمها محمد صلي الله عليه وسلم و قومه و يتقنها العرب المعاصرون لزمن النزول.

- ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 21].
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴾ [الرعد: 37].
- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: 103].
- ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: 97].
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَو يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: 113].
- ﴿ وَ إِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء: 102-105].
- ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 26-27].
- ﴿ حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: 31].
- ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي أذانهم وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: 44].
- ﴿ وَكَذَلِكَ أوحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7].
- ﴿ حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: 1-3].
- ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان: 58].
- ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: 12].

هذا و بالإضافة إلى ما في قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [ابراهيم: 4].

لماذا هذا التوكيد و الإلحاح في القرآن الكريم بأن الكتاب الذي يُتلى على الكفار من العرب هو بلسانهم الذي يحسنونه مع أن المسألة لا يحتاج إلى التوكيد؟

إن السبب في ذلك إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمام قومه، فبين الله لهم المعجزة التي خص الله بها نبيّه عليه السلام دون بقية الرسل؟ و هي معجزة القرآن الكريم و هي الدليل الأكبر على نبوته و ثبوت هذه المعجزة من وجهين:

أولاً: أمية الرسول الذي لا يعرف الكتاب و لا القراءة و عدم معرفته من الكتب السابقة السماوية ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: 4].

ثانياً: هذا القرآن الكريم نفسه منزل بلسان عربي مبين الذي عجز فصحاء العرب و بلغائهم عن تقليده و محاكاته و النسج على يضل لأنه لا يعلم ما مسلك الضلال والانحراف و ما طريق الهدى و الرشاد[7].

أما إذا غاب الدين عن مسرح الحياة لا يبقي شيء في الأرض محله ولا يبقي شيء ثابتاً و تختل المقاييس و تزول المعايير و يصبح حرام الأمس حلالاً، و حلال الأمس حراماً، و ما يقر اليوم يلغي غداً و ما يثبت غداً يلغي بعد غد، لأن الإنسان تنطلق مع هوى نفسه ليس هناك أصل يرجع الناس إليه أو يعترفون به، فحينئذ يصبح البشر نوعاً من الحيوانات السائمة تماماً بل لعله في هذه الحالة يكون أرداء أنواع الحيوانات، إذ أنه سيسخر إمكاناته العلمية في طريقها المنحرفة فيأتي بما لايستطيع أي حيوان _ مهما كان شريراً _ أن يفعل أقل منه بمرات.

إذا غاب الإسلام عن العالم لا يبقي معه شيء في محله لأن الإسلام هو الأصل الرباني الوحيد الصحيح السليم عن الانحراف و التحريف وهو وحده الذي يستطيع البشرية أن تفيء إلى ظله و بدون هذا فان كل شيء في الإنسان و للإنسان يضيع.

جاء الإسلام ليحافظ على قضايا خمس هي أهم شيء بالنسبة للإنسان، جاء الإسلام ليحافظ على الدين، ليحافظ علي العقل، ليحافظ على المال، ليحافظ على النفس و النسل[8].

فإذا غاب الإسلام عن مسرح الحياة ليس على وجه الأرض دين و لا عند الإنسان عقل و لا يملك احد مالاً و ليس هناك حرمة لنفس الإنسان ولا حرمة للنسل الآدمي.

فإذن الإسلام ضرورة مهمة لحياة الإنسان في جميع مجالاته و ليس للإنسان حياة بدون الإسلام.

إن حاجة الإنسان إلى الدين عامة، و إلى الإسلام خاصة ليست حاجة ثانوية ولا هامشية، إنها حاجة أساسية أصلية تتصل بجوهر الحياة و سرّ الوجود و أعمق أعماق الإنسان.

يقول القرضاوي في كتابه مدخل لمعرفة الإسلام:

و لقد عرف الناس بالمشاهدة و التجربة و استقراء التاريخ، أن العقيدة الدينية لا يغني غناها شيء في تربية الضمير و تزكية الأخلاق، و تكوين البواعث التي تحفز على الخير، والضوابط التي تردع عن الشر، حتى قال بعض قضاة العصر في بريطانيا- و قد هاله ما رأى من جرائم موبقة، رغم تقدم العلم، و اتساع الثقافة، و دقة القوانين « بدون الأخلاق لايوجد قانون وبدون الإيمان لا توجد أخلاق، ثم يتابع كلامه و يقول: و لاغرو أن اعتراف بعض الملاحدة أنفسهم بأن الحياة لا تستقيم بدون دين ، بدون عقيدة في الله و في الجزاء و في الآخرة، حتى قال فولتير: لو لم يكن الله موجوداً لوجب علينا أن نخلقه أي نخترع للناس إلهاً يرجون رحمته و يخافون عذابه و يلتمسون رضاءه فيعملون الصالحات، و يتجنبون السيئات، و يقول مرة أخري ساخراً: لم تشككون في وجود الله، و لولاه لخانتني زوجتي، و سرقني خادمي. و قال (بلوتارخ): إن مدينة بلا أرض تقوم عليها، أسهل من قيام دولة بلا إله »[9].

الدين الإسلامي و علاقتها باللغة العربية

من المعلوم أن القرآن الكريم الذي هو للناس كافة، العرب وغير العرب و ختم الله به جميع كتبه و رسالاته السماوية بلسان عربي مبين أي بلغة العرب التي يفهمها محمد صلي الله عليه وسلم و قومه، مع أنها حقيقة ثابتة لا تحتاج إلي برهان أو دليل، و لم

[7] . انظر كتاب تعلم اللغة العربية والدين الاسلامي من ص382-284، للدكتورحسين سليمان قوره.

[8] . حوى، سعيد حوى (1992م). الإسلام ، صص: 209- 216 . الناشر: شركة شهاب الجزاير.

[9] . القرضاوي، مدخل لمعرفة الاسلام صص: 20-21.

عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بأسمائهم فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بأسمائهم قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السموات وَالأرض وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: 31-33]، إن الله علم آدم الأسماء كلها و لكن ليس لنا مصدر من قرآن و السنة ما هي هذه الأسماء كلها؟ إنه علم الغيب؛ و لكننا نعلم أن الله سبحانه و تعالى قرن خلق الإنسان بتعليمه البيان: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإنسان عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: 1-4].

إن الله تعالى قرن خلق الإنسان بأن جعل له عينين و لساناً و شفتين و سمعاً و بصراً و فؤاداً و اللسان و الشفتان منطلق اللسان يدفعه الفؤاد الذي يعي و العين التي تبصر و الآذان التي تسمع: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 8-11].

و نعلم من الآيات ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأرض مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [البقرة: 35-36]، أن آدم عليه السلام لما نزل إلى الأرض كان مزوداً بزادٍ عظيم، أولاً تجربته مع الشيطان الذي سيظل عدواً لآدم و ذريته و ثانياً العلم الذي علّمه الله إياه و لعل البيان كان من هذا العلم.

من هذه البيان الذي لا نعلم منه إلا ما علّمنا الله خرجت اللغات كلها في تاريخ الإنسان و منه أي من هذا البيان خرجت اللغة العربية التي اختاره الله لغة دينه و رسالته التي تميزت من سائر اللغات بنموها و تطورها الذي استقرت عليه عند نزول الوحي.

و من هذا كله ندرك أن للغة بصفة عامة و اللغة العربية بصفة خاصة مميزات و إن هذه المميزات ترفع اللغة العربية فوق سائر اللغات، و لقد جاء علماء المسلمين فأخذوا يكتشفون عن عظمة هذه اللغة و نواحي تمييزها؛ و توالي العلماء على مرّ العصور يكتشفون في هذه اللغة كنزاً بعد كنز كأنها تختزن الجواهر و اللآلي و الأحجار الكريمة كلها، و ظلت اللغة العربية تطلق من كنوزها و تشّع من عبقريتها، كلما يسّر الله لها المواهب الغنية القادرة، و ستظل لغة القرآن تشّع أنوار البيان مدى الدهر[10].

كما نفهم أن اللغة هي إحدى العوامل الرئيسية التي تكوّ ن الفكر الإنساني و إنها تنمو مع الإنسان منذ طفولته، تنمو مع نمو جسمه و طاقاته و فطرته التي فطره الله عليها و عقيدته التي يؤمن بها. و إذا كانت الفطرة سليمة، فان الإيمان و التوحيد يظلّان مغروسين فيها، ليكونا العقيدة التي يؤمن بها و يحملها و لتظل الفطرة قادرة على رسالة الإسلام و دين الله كما أنزله على رسوله وعبده محمد صلى الله عليه و سلم ليكون للعالمين نذيرا، فالإسلام هو دين الله الذي اختاره لعباده جميعاً يحمله القرآن و السنة، و اللغة العربية هي اللغة التي اختارها الله لدينه جميعاً للقرآن و السنة ليكون البلاغ بها أمينا دقيقاً و ليكون التلقي أيضاً بها أمينا دقيقاً، والله الذي خلق الفطرة، فجعلها قادرةً على تلقي اللغة العربية تلقياً يحمل رسالة الله و دينه.

و اللغات الأخرى غير العربية تنمو مع الإنسان في بيئة و يتلقاها لتكون اللغات و اختلافها آية من آيات الله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السموات وَالأرض وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[الروم:22].

و تظل هذه اللغات آية من آيات الله، حتى تؤدي دورها الذي يريدها الله لها، و حتى تبرز من بينها عظمة اللغة العربية و ليكون دور هذه اللغات و دور شعوبها و أممها أن يفسحوا المجال للغة العربية لا أن يزاحموها و يصارعوها و يسدوا السبيل أمام منوالها، كما عجزوا عن تصنيفه في أي فن من الفنون التي يعرفونها.

فإذن نقول: لقد أكرم الله تعالى اللغة العربية حين نزل بها كتابه و حين كتب لهذا القرآن الخلود الأبدي بحفظه من التغيير و التبديل كما حدث لغيره من الكتب السابقة مثل التوراة و الإنجيل و غيرهما ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

و من هنا أصبحت اللغة العربية – لغة القران – تحتل مكانة رفيعة ومنزلة شريفة مقدسة في نفوس المسلمين المؤمنين و أصبح الحفاظ عليها جزءاً من الحفاظ على القرآن و صيانتها من صيانته و تعلمها مرتبطاً بتعلمه، فحفظ القران لا يتصور القيام به إلا بالحفاظ على أصواته و كلماته و جمله و نقطه و فواصله و مختلف تراكيبه.

و نعلم أن اللغة تختزن بين أحرفها و كلماتها فكراً و تصوراً و هذا يتسلسل بين الكلمات و الجمل و يتلبس الحروف و الكلمات من خلال تاريخ الطويل، كانت اللغة تنمو معه و تصارع.

و ربما نلمس بعض مظاهر التاريخ و الصراع بين الكلمات و التعبيرات و نلمس بعض النواحي التصور و الفكر و بعض معالم طبيعة الأمة التي تحملها، و التي نمت معها و ربما نلمس روح ذلك و معالمه في جرس اللغة و موسيقاها و في دقة بيانها و بلاغتها و في تركيبها و أسلوبها مما يعطي اللغة خصائص متميزة التي تنفرد بها.

إن الإسلام جاء رسالة ربانية ليلها كنهارها، و أن الله سبحانه و تعالى أمرنا أن نبلغ هذه الرسالة دون تغيير أو تبديل أو مساومات، و حين يعرف الداعية مهمته بصورة واضحة دقيقة و تستقر هذه الحقيقة في نفسه و يعلم أنها تكليف من عند الله و أنه لا يحل له أن يبدل مهمته بهواه يسّهل عليه بعدئذ وضع المنهج ليبّلغ رسالة الله إلى الناس جميعاً و سيعرف بصورة واضحة أن اللغة العربية جزء لا يتجزأ من منهاج الله و إنها مفتاح كتاب الله الذي لا يفهم إلا باللغة العربية لا بسواها و أن القران الكريم بغير اللغة العربية لا يعتبر قرآناً و لا تكون معانيه إلا تقريبية غير دقيقة دون أن تحمل صورة الدقيقة التي أوحى بها الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وعندئذ يدرك الرجل الذي يدعى إلى الإسلام أن مسئوليته أن يدرس اللغة العربية ليحسن فهمه لكتاب الله و سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم و لتحسن عبادته و ليظل إيمانه ينمو و يزداد بفضل الله و هدايته كلما استمر في مصاحبة منهاج الله مصاحبة عمر و حياة، و حينئذ يجب على الداعي أن يعرّفهم مسئولياتهم التي سيحاسبهم الله عليها يوم القيامة و الأمانة التي يحملونها و يجب أن يوفوا بها، إن أول هذه المسئوليات هي الإيمان و التوحيد ثم يأتي بعد ذلك أداء الشعائر و أركان الإسلام ثم يأتي بعد ذلك تدبر منهاج الله و دراسته باللغة العربية، هذا ليعّرف سائر التكاليف الربانية التي كلفها الله بها والتي سيحاسبه عليها يوم القيامة، يمكن أن يدعو الداعي بأي لغة يمكنه البدء بها، و لكن يمثل هذا مرحلة أولية يجب تجاوزها بالسرعة الممكنة، و يجب تجاوزها بقناعة الطرفين: الداعي و من يدعوه، أما الداعي فهو مومن بذلك لصفاء إيمانه و صدق علمه، و أما المدعو فهو يؤمن بذلك كحقيقة من الحقا يق الإسلام و تزداد قناعته كلما زاد علمه.

و نعتقد أن اللغات كلها نشأت من أصل واحد أوله اللغة التي كان آدم عليه السلام يتحدث بها زوجته و أولاده و لقد علّم الله آدم الأسماء كلها و لأبأس أن نعتقد أن آدم عليه السلام علّم زوجه و أولاده مما علّمه الله، فهل اللسان و البيان مما علمه الله ؟

نفهم من آية:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماء كلها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا

[10] النحوي، عدنان علي رضا النحوي (1998م). لماذا اللغة العربية. صص: 72- 78.

جميع الأمم تعّلم اللسان العربي بالتتبع لمخاطبتهم للقرآن و التعبد له). و يقول الفقهاء الحنفية: (للعربية فضل على سائر الألسن و هي لسان أهل الجنة من تعلّمها أو علّمها غيره فهو مأجور)، فكلما ازداد فهم الإنسان بالعربية كان أقدر على فهم الإسلام، و لا يعني هذا (كون اللغة العربية - هي اللغة الرسمية للأمة الإسلامية) إفناء بقية اللغات، بل المسألة هكذا: لا بد للأمة المسلمة من لغة مشتركة تتفاهم بها و ليس معقولاً أن تكون هذه اللغة غير العربية و هي لغة عبادتهم و تكون لغة الإنسان الأصلية لغة ثانية له يدرج بها مع أبناء جنسه، و لا يعني هذا إثارة العربية فحاشا، بل إن تعلّم العربية فخر لمن تعلّمها يقول عليه السلام: «يا أيها الناس إن الرب واحد و إن الأب واحد و إن الدين واحد و ليست العربية بأحدكم من أب و لا أم و إنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي»[12].

قال الدكتور تويجري: واللغة العربية هي وعاء الثقافة الإسلامية، و هي أداة المثلى لمعرفة مبادئ الدين الحنيف و فهم أحكامه، و هي اللغة الوحيدة في العالم التي ترتبط بالدين ارتباطاً لا انفصام له. فاللغة العربية لغة الإسلام، لأنها لغة القرآن الكريم و لغة حديث رسول الله محمد صلي الله عليه وسلم و لغة صحابته الأبرار رضوان الله عليهم، الذين صنعوا تاريخ الإسلام و فتحوا أقطار الأرض و نشروا دين الحق بها[13].

اللغة العربية عبر التأريخ الإسلامي

من الواقع أن اللغة العربية تمر اليوم بتحديات و صعوبات لم ترها في تاريخها، و ذلك نابعة من واقع المسلمين، لقد فقد كثير من المسلمين الحافز الإيماني لتعليم اللغة العربية و حتى ظن بعضهم الاستغناء عن اللغة العربية و دراسة القرآن و السنة النبوية بأي لغة أخرى إذا ترجما إليها، و تبع هذه الظاهرة الضعف في التصور الإيماني والتوحيد، والضعف في تدبر منهاج الله و فهمه و ممارسته في واقع الحياة.

و قد أدرك الأعداء أهمية اللغة العربية و خطورة منزلتها في الإسلام فكان من أهم محاولاتهم إضعاف صلة المسلم بلغة العربية و إضعاف شعوره بضرورة التمسك بها، ومع هذا فان اللغة العربية واجهت هذه التحديات بقوة و ثبات و صمود و سجلّت انتصارات كثيرة في مواقع عديدة و ما زال ترى كثيراً من المسلمين في بلدان الإسلامي يصّرون على تعليم العربية و استخدامها و يرتحلون إليه لدراسة الإسلام و لغة العربية، إنهم يفعلون بحافز إيماني؛ و ترى عدة من المسلمين يصرّون على حفظ القرآن الكريم دون أن يعرفوا اللغة العربية، مع أن الاستعمار الفرنسي في غرب العالم الإسلامي و استعمار البريطاني في شرق العالم الإسلامي حاول كل المحاولة بالقضاء على العربية و بفرض لغاتهم في جميع أو أكثر مجالات العيش والحياة، هذه كلها ظاهرة تدل بإصرار المسلم على اللغة العربية و ارتباطها بالقرآن الكريم.

حينما نمرّ على تاريخ الأمم الإسلامية، نرى أن الشعوب أقبلت على تعلّم اللغة العربية إقبال شوق و رغبة بعد أن أسلمت و آمنت وعرفت منزلة اللغة العربية في الإسلام و بدأت العربية تنشر بين الشعوب انتشاراً يحير العقول و نبع من الشعوب غير العربية عباقرة في اللغة العربية و أئمة فيها.

امتدادها، ذلك بأنهم بهذا الصراع إنما يصدون عن سبيل الله و يحاربون دينه، فعند ما تغيب اللغة العربية أو تضعف فان صلة الإنسان بمنهاج الله تتوقف أو تضطرب وعلى قدر ما تضعف اللغة العربية يضعّف التلقي من منهاج الله و إذا ضعف هذا التلقي ضعف الإيمان و التوحيد و اضطربا.

إنها أمور مترابطة يغذي بعضها بعضاً ما دامت قوّية غنية عند الإنسان، و يضعف بعضها بعضا حين تضعف أو تذوي. فاللغة العربية و الإيمان هما مفتاحا فهم كتاب الله و تدبره، و كتاب الله باللغة العربية يظل يروي الإيمان و التوحيد في الإنسان، و الإيمان و التوحيد يظلان ينميان إقبال الإنسان على اللغة العربية و على القرآن و يظل التأثير متبادلاً ماضياً مع الإيمان، كما أن القوة تورث القوة، و الضعف يؤرث ضعفاً و الهداية كلها بيد الله يهدي من يشاء من عباده إلى صراط مستقيم، فالقضية إذن ليست قضيةً عابرة و لا قضية دنيوية إنها ترتبط بأخطر قضية في حياة الإنسان و آكبر حقيقة في الكون، إنها قضية الإيمان و التوحيد و تلقي رسالة الإسلام _ قرآناً و سنة، تلقياً أميناً دقيقاً لا يتم إلا باللغة العربية، إنها ترتبط بأخطر قضية في حياة كل إنسان لأنها القضية التي تقرر مصيره في الدنيا و الآخرة كما قلنا إنها قضية الإيمان و التوحيد.

أما غياب اللغة العربية أو هوانها في حياة الفرد المسلم أو الأمة المسلمة، يفتح المجال لتسرب اللغات الأخرى مع ثقافتها و نهجها و دينها فيتسرب - الدين الجديد – شيئاً فشيئا و يبدأ التنازل عن الإسلام؛ إنّ أيّ تنازل عن الإسلام مهما بدأ صغيراً سيتلوه تنازل اكبر ثم اكبر و هكذا، و إن أخطر التنازل هو التنازل عن اللغة العربية لأنه تنازل يؤدي إلى هجر الكتاب و السنة ثم إلىاضطراب الإيمان و خلله ثم إلى ضعف الأمة و تمزقها شيعاً واحزاباً و شعوباً و أقطاراً و مبادي مستوحاة، يصارع بعضها بعضاً فلا تحس بعد ذلك إلا والديار تضيّع و الأعراض تنهك و الفواجع تتوالي.

إنه تنازل يبدأ أول الأمر هيناً و لكنه ينتهي بالتنازل عن الدين ثم عن البلاد ثم لتغرق الأمة في ظلام الفواجع و المآسي!

فاللغة العربية لغة الوحي و لغة النبوة الخاتمة و لغة القرآن الكريم و لغة الصلاة و الدعاء و سائر الشعائر و لغة تبليغ رسالة الله و لغة تلقيها.

فإذا كانت اللغة العربية تتمتع بهذه المميزات و الخصائص فكيف لا يهرع المؤمن الصادق في إيمانه و حبه لله و لرسوله و لكتابه و سنة نبيه.

فاللغة العربية جزء لايتجزاء من منهاج الله فيصبح منهاج الله الذي جاء من عند الله و بلّغه رسوله صلى الله عليه وسلم، فلذلك نرى أن اللغة العربية يجب أن تكون هي اللغة الأولي في حياة كل مسلم، لتكون لغة عبادته و لغة دعوته و اللغة الأولى لأدبه و إنتاجه الفني و لتكون لغة العلم و الفكر و لتكون هي اللغة الأمة المسلمة و الدولة المسلمة و لغة تعاملها الدولي[11].

قال سعيد حوى في كتابه القيم (الإسلام): إن الإسلام عقيدة و سلوك و اللغة إنما هي تعبير عن هذه المعاني فهي وسيلة لا غاية لذلك إذ أرسل الله كل نبي بلسان قومه... و اختلاف الألسنة و الألوان آية من آيات الرحمن فإذن هذا الاختلاف أمر عادي، غير أن الكتاب والسنة بلغة العرب في رسالة خاتم المرسلين، و العالم كله مكلف بهذه الرسالة، و لايفهم هذه الرسالة إلا باللغة العربية، فلهذا كان بديهياً أن تكون العربية هي اللغة الرسمية للبشر جميعاً و للأمة الإسلامية خاصة؛ قال الإمام الشافعي: (إن الله فرض على

[12] . السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ب ت)، جمع الجوامع أو الجامع الكبير، جزء 1، ص: 26740. سعيد حوي (1992م)، **الاسلام**، ص: 339 - 340.

[13] . التويجري، علىالعزيز بن عثمان (2004 م). مستقبل اللغة العربية ص:37.

[11] . المرجع السابق، لما ذا اللغة العربية، صص: 51 -59.

يضع أيضاً شريعة جديدة للتعامل في كل مجالات الحياة، الدنيا و العليا، و يقدم تصوراً و رويةً جديدين و شاملين و عميقين للعالم و يحدث توازناً كبيراً بين عالمين، عالم الغيب و الشهادة و عالم الروح و المادة، عالم العقل و عالم الوحي عالم الأرض و عالم السماء.

و يعطي بذلك تفسيراً لكثير من الظواهر الكونية و معنى جديداً لوجود الإنسان و الحياة على سطح الأرض و كان لهذا كله تأثيره القوي الذي امتد قروناً إلى اليوم في تغيير العادات و التقاليد و أنماط العيش والسلوك فضلاً عن أنماط الحكم و الاقتصاد و الاجتماع و العمران.

و كان لابد لهذه المفاهيم من لغة جديدة قادرة على استيعاب أعمق الدلالات و أدق المعاني التي جاء بها الإسلام.

لقد خدم الإسلام لغة القرآن خدمات جليلة: طوّرها و نمّاها و حياها لاستيعاب مختلف العلوم النقلية و العقلية حتى أصبحت لغة الدين و الفكر و الثقافة و التقنية و الإدارة و الاقتصاد و السياسة و الحضارة العالمية طيلة قرون عديدة إلى عصر استعمار الغربية الحديثة.

مكانة اللغة العربية في الإسلام

كما أشرنا أن الروايات التاريخية تشهد بأن اللغة العربية كانت لغة العرب وحدهم قبل الإسلام و قبل بدأ الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، و لكن منذ أن بدأ الوحي على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم باللغة العربية و اختارا الله سبحانه و تعالى هذه اللغة لتكون لغة الوحي و النبوة و لغة القرآن؛ أصبحت اللغة العربية لغة رسالة الإسلام لغة المسلم و لغة الأمة المسلمة مدي الدهر.

و لقد نمت اللغة العربية من خلال تاريخ طويل مرت به في جزيرة العرب و ما جاورها حتى تميزت بروعة البيان و جمال التعبير و أصبحت غنية بنغماتها و موسيقاها و أصبح البيان يهّز العربي ممن عرف اللغة العربية و أتقنها و أصبحت اللغة كنزاً في حياة العربي تؤثر في فكره و نهجه.

فما نزل القرآن إلا نضجت اللغة و استقرت، لتستقر بها قواعد الإسلام و أصبحت اللغة العربية متميزاً بجوامع الكلم مما لا يتيسر في أي اللغة الاخري حتى كان من خصائص النبي عليه السلام أن أوتي جوامع الكلم، فعن أبي موسي الأشعري عن الرسول صلي الله عليه وسلم أنه قال:« أعطيت جوامع الكلم و خواتمه»[17].

و عن أبي هريرة: قال صلي الله عليه و سلم: « نصرت بالرعب و أعطيت جوامع الكلم »[18]. و جاء القرآن الكريم ليبين منزلة اللغة العربية في الإسلام و ليبين أن اللغة العربية من خصائص منهاج الله، فهيّا لنتشرف مرة أخرى في رحاب القرآن:

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 3].

و كذلك: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: 191 – 192].

إن واقع اللغة العربية يتأثر كثيراً بواقع المسلمين، فهي تقوي بقوتهم و تضعف بضعفهم، كما قال ابن حزم: « قوة اللغة في قوة أهلها »[14]، و قال ابن خلدون: « غلبة اللغة بغلبة أهلها »[15]، و جميع اللغات تخضع لهذه القاعدة، و لكن اللغة العربية تبقي في الميدان تصارع التحديات و يبقي حية و غنية بكل خصائصها مهما ضيّق عليها و مهما اشتد المكر و الكيد لتوهينها أو عزلها عن الميدان.

و اختلاف اللغات بين الأمم و الشعوب آية من آيات الله تحمل العبرة للتأمل و التدبر ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السموات وَالأرض وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[الروم: 22]، و لكن اللغة العربية تميزت بخصائص لم تتوفر لِأي لغة أخرى، منها: أنها نعمة من الله، مَنَّ الله عليها وعلى المسلمين وعلى الناس كافة حين اختارها لغة رسالته إلى عباده و لغة دينه و حين تعهد بحفظ الذكر الذي أنزله على رسوله و نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، و هذا يعني أنه تعهد بحفظ دينه و قرآنه و سنة نبيه، و اللغة العربية التي هي وعاء الذكر كله و بيان مادته ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9].

تأثير الإسلام في اللغة العربية

إن تأثير الإسلام في اللغة العربية عميق، كبير، و له مظاهر متعددة، نمّر على بعض ما يهمنا في هذا البحث:

إنه عمل على حفظ هذه اللغة و ضمان استمرارها و وحدتها و جعل منها لغة الحياة بحياة الإسلام على الدوام، إذ كان من الممكن أن تمضي العربية في طريق الانقسام على نفسها إلى لغات و لهجات تتباعد الشقة بينها، و تضعف الوشائج والصلات اللاحمة بين فصائلها إلى ما يؤل الأمر كما آلت إليه اللغات الأخرى. لا نقول إن الإسلام استطاعت أن يمنع التطور و لكن نقصد أنه استطاعت أن يحافظ على وحدة اللغة التي تجمع بين سائر اللهجات مهما تفرعت و تشعبت و هي اللغة الفصحى، والذي يؤمن بأن القرآن حقيقة خالدة مجبر أن يؤمن بأن اللغة القرآن هي اللغة الفصحى.

قال عبدا لعلي الود غيري ما نصه:

« فالإسلام هو الذي جعل هذه اللغة من لغة محلية إقليمية إلى لغة عالمية تتجاوز صحراء الجزيرة إلى سائر القارات و المحيطات، و الإسلام هو الذي حولها من لغة قوم معنيين و قبائل معينة إلى لغة أمة شعوبها و أممها و أجناسها المختلفة، و من هنا كان تأثير العربية في اللغات الشعوب الإسلامية تأثيراً واضحاً و كبيراً » ثم تابع كلامه و أضاف :« و من هنا أيضاً نفهم لماذا وقف المستعمرون من فرنسيين و غيرهم في وجه تعليم القرآن و فتح الكتاتيب في المناطق التي سيطروا عليها؟ لأنهم وجدوا أن تعليم القرآن يؤدي إلى تعليم العربية و نشرها و بالتالي إلى تعريب المناطق التي يريدون فرض لغاتهم الأجنبية عليها»[16].

القرآن لم يأت فقط ليؤكد عقيدة التوحيد التي أنزلت بها الرسالات و الكتب السابقة و ليس ليتعبد فحسب، و لكن جاء أيضاً ليحدث ثورة عارمة يغير بها كل أوضاع الحياة الاجتماعية و الدينية و الاقتصادية و السياسية السائدة أنذاك، فكان هذا التغيير يشمل كل العلاقات البشرية في مختلف أبعادها: علاقة الخالق بالمخلوق و الحاكم بالمحكوم و علاقة الفرد بالفرد و بالأسرة و المجتمع، و

---

17 . الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ب ت) صحيح جامع الصغير و زياداته. الناشر: المكتب الإسلامي. 350/1 / 1069 رواه أحمد وابن عمرو.

18 . الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ب ت). الفتح الرباني: 732/41/22 رواه أحمد.

14 محمد سيلا وعبد السلام بن عبدالعالي (1994م)، دفاتر فلسفية . سيلا، نصوص مختارة، ص: 48. دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى.

15 ، المرجع السابق، نصوص مختارة ص 48.

16 . الود غيري. عبد العلي الود غيري (2000م). اللغة والدين والهوية. ص:31. دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى.

عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال: « أحبوا العرب لثلاث:لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي »[19].

و عن أنس عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال:« حب قريش إيمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني»[20].

و يقول سعيد الأفغاني: « لكل دين لغة و لغة دين الإسلامي العربي »[21].

إن للإسلام فضل على اللغة العربية فهو الذي أعطاها القداسة، و نلمس هذا بكل الحواس حينما نرى أحداً من المسلمين في بلدان الغير الناطقة بالعربية إذا رأى المتكلم بالعربية يحترمه و يبجّله و إن كان المتكلم على غير دينه، فإذن لانجد لها سبباً إلاّ احترامه بالعربية لأنها لغة دينه و لغة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ما دامت السموات والأرض.

يتأكد عبد العلي الود غيري و يقول ما نقتطف منها ما يلي:

« أن فضل الإسلام على العربية كبير جداً كما قلنا فهو الذي أحياها و نماها و رقاها و طورها ثم عمل على حفظها و تخليدها و نشرها في الآفاق و بين سائر الأمم و الشعوب حتى أصبحت لغتهم المفضلة بل المقدسة باعتبارها لغة القرآن و السنة والآثار الإسلامية الخالدة.

فإذن نسأل هل اللغة العربية لغة العرب خاصة أم لغة المسلمين كافة ؟

يمكننا أن نسارع في الجواب و نقول طبعاً إنها اللغة العرب خاصة و ليس لغة كافة المسلمين لأن المسلمين متكون من قبائل و شعوب ذات لغات و ألسنة مختلفة، و إن الدين الإسلامي هو الجامع بينهم كما جاء في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: 13].

و يمكن أن يأخذ البعض حجة من هذه الآية التي وردت في سورة الروم:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السموات وَالأرض وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم: 22]، بأن العربية لغة قومية خاصة بالعرب.

أما إذا أمعنّا النظر نعلم أن العربية حقاً كانت قبل نزول الوحي لغة العرب وحدهم لكنّهم بعد أن نزل بها الكتاب العزيز الذي أمرنا بحفظه و صيانته و التعبد به و الاحتكام إلى شريعته، فإنها تحولت إلى لغة جميع المسلمين و إلى كل من يدخل دين الإسلام مجدداً، فهي بعد الإسلام لغة الأمة لا لغة القبيلة، حري بها أن تسمي لغة القرآن أو لغة العالم الإسلامي من أن تسمي لغة العرب، أما الآية السابقة الذكر فليس فيها ما ينقض هذا، لأنها واردة في سياق آخر و هو تعداد آيات الله أي دلائله و براهينه على أنه الخالق القادر الذي أوجد كل شيء؛ و الخطاب في هذه الآية و الآيات التي قبلها و بعدها من سورة الروم التي نزلت بمكة ليس موجهاً إلى فئة المسلمة فهي يومئذ فئة قليلة من العرب ليس بينهم اختلاف في

و يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة الهامة في عدد غير قليل من سوره؛ ففي سورة الرعد يأتي ظل ممتد مع التشريع والحكم الذي تتسع له اللغة العربية:

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴾ [الرعد: 37].

و يرتبط التفصيل في سورة فصلت باللغة العربية التي تتسع لهذا التفصيل و بيانه:

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلّت: 3].

و نرى جمال الوضوح و استقامة المعني و دقته في كل ما يعرضه القرآن الكريم في قضية الإيمان و التوحيد و نبأ الغيب و العلم و التشريع و القصص و غير ذلك، نرى كله مرتبطاً باللغة العربية التي جاء بها قرآناً عربياً غير ذي عوج :﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 27- 28].

و لقد جاءت رسالة الإسلام و نزل الوحي الأمين باللغة العربية ليخاطب القرآن الكريم شعوب الأرض كلها بمختلف أجناسها و أعراقها و لغاتها بهذا اللسان العربي المبين.

و حسبنا لنعلم عظمة هذه اللغة أن ندرك أنَّ الله سبحانه و تعالى هو الذي اختارها و اصطفاها و رضيها لكتابه و لدينه و لعباده المؤمنين فوسعت كتاب الله آياً و حكمة و بياناً معجزاً يتحدي العرب أولاً، أهل الفصاحة و البيان أن يأتوا بمثله و يتحدي الناس كلهم و يتحدي الإنس و الجن فأصبحت اللغة العربية لغة العبادة و الطاعة في الصلاة و سائر الشعائر و لايعتبر القران قرآناً إذا نقل إلى لغة أخرى، إنما هو من أبواب التفسير غير الدقيق يصلح لينقل بعض المعاني و لا يصلح لينقل الإعجاز و المنهاج الرباني.

فقد حملت اللغة العربية بفضل من الله تمام البلاغ و كماله و الإنذار و البشرى والرحمة للعالمين والعلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه والبيان المعجز الميسر للذكر و الهدى و النور و الشفاء و الموعظة و الحكمة و أدب القول و نهج العمل.

فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلّغ للناس كافة ما أنزل إليه فان لم يفعل ذلك فلا يكون قد بلّغ رسالته ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: 67]. وكذلك: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سباء: 28]. كذلك: ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107].

فأصبحت اللغة العربية وعاء القرآن و لغة السنة النبوية و منهاج الربانية. و من هنا ندرك مسؤوليتنا أن ننمي لدى المسلمين خاصة و الناس عامة الشعور و الإحساس بضرورة دراسة اللغة العربية حتى يفقهوا كتاب الله و سنة نبيه و حتى نكون قد أوفينا البلاغ بما أنزل و أدينا الأمانة التي كلّفنا بحملها.

هل اللغة العربية لغة العرب خاصة أم لغة المسلمين جميعاً؟

اللغة العربية هي العروة الوثقى التي تجمع بين الشعوب العربية و الشعوب الإسلامية التي شاركت في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية، و لهذا بخلاف الكثير من اللغات تبوأت مكانة خاصة، عظيمة و رفيعة لدى الشعوب العالم من الصين واليابان إلى الامريكا في أقصى الغرب و من الجنوب إلى الشمال، لأنها لغة القرآن الكريم و لغة الدين عملاً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 2]، والآيات التي ذكرناها قبل.

لقد شرّف النبي صلي الله عليه وسلم اللغة العربية بأحاديث النبوية الشريفة و نذكر منها ما يلي:

---

19 . الطبراني،ابوالقاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (1427هـ - 2006م). ج: 9، 387. المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، عن ابن عباس 3/ 470. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.

20 . الطبراني، أبوالقاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ب ت). المعجم الأوسط. ج: 6، ص:92. الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

21 . الأفغاني، سعيد الأفغاني (1971م). من حاضر اللغة العربية، ص: 34. دار الفكر بيروت لبنان. الطبة الثانية.

بينهم و المسلم لا يتعمق فهمه للإسلام إلاّ بالرجوع إلى كتب التفسير و الحديث و الفقه و الأصول و شروحها و فيها تبيين للشريعة و أحكامها، و لسنا على الخطأ إن قلنا: إن من أهم أسباب فرقة المسلمين اليوم سوء فهمهم الإسلام على حقيقته و تخلي المسلمين عن رابطة أساسية كانت بالأمس بالإضافة إلى الدين و هي رابطة اللغة، فعلى العالم الإسلامي أن يوحّدوا كلمتهم و يقوي الرابطة بينهم ألا و هي رابطة لغة القرآن _ لغة العربية _ لغة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم و لغة أهل الجنة.

تمييز اللغة العربية من سائر اللغات

إن اللغة التي حملت هذا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و حملت هذا الإعجاز الذي تحدي به القرآن الإنس و الجن على أن يأتوا بسورة من مثله فهي لغة متميزة كل التمييز من لغات البشر.

فللغة العربية جمال متميز من سائر اللغات أنه جمال الوضوح و الدقة في المعني و سائر الوجوه و لا تنطبق قواعد الجمال في اللغات الأخرى على قواعد الجمال فى اللغة العربية. و مما يؤكد هذه الحقيقة، أنه عند نقل القرآن والسنة إلى لغة غير اللغة العربية فإن المعاني لا تستوفي كما هي مستوفاة باللغة العربية و إن الإعجاز الذي تحمله القرآن الكريم يفقد كثيراً من خصائصه و لا يبقي الكلام عندئذ كلام الله و لا القرآن قرآناً ولا التلاوة تلاوة.

يقول عدنان علي الرضاء النحوي ما ملخصه:

« و في اللغة العربية و ألفاظ القرآن الكريم وتعبيراته ما يتعذر نقله إلى لغة أخرى فكلمات: الولاء ، الآية ، الإحسان ، التقوى عرض هذا الأدنى، قدم صدق، و أملي لهم، أمام، عاكفين، و كلمات كثيرة و تعبيرات قرآنية كثيرة أعجزت العرب أن يأتوا بمثلها، فأنى للغات غير العربية أن تأتي بمثلها.

و كلمة آية تترجم في اللغة الانجليزية "Signe " و شتان بين هذه و تلك و بين ظلالهما، و أن لفظة آية لفظة معجزة بنفسها، توحي بالإعجاز و السمو الذي لا يبلغ.

و من أنفسكم تحمل معاني و ظلالاً ممتدة غنية ندية تعجز عنها الترجمة الانجليزية "From You " و أزواجا لتسكنوا إليها مليئة بالظلال لا تبلغها الترجمة الانجليزية " Metes dwell in tranquility wilh them" فكلمة السكن و مشتقاتها غنية المعاني و الظلال، و كلمة الرحمة تترجم حيناً "Mercy" و حيناً آخر"Kindness" و لكن كلمة الرحمة تظل أغنى معنى و أندى ظلالاً و أوقع جرساً.

و لا تتميز اللغة العربية بمفرداتها و ألفاظها و كلماتها و ما تحمل من معانٍ و ظلال و جرسٍ فحسب، و لكنها تتميز كذلك ببنائها و صياغتها، حين ينظم معنى إلى معنى و ظل إلى ظل و جرس على جرس، لتبلغ الصياغة درجة عالية من الجمال الفنيّ المؤثر »[24].

و إن نقارن هذه الكلمات في الفارسية نجد إما تترجم بنفسها و إما معاني قريبة منها فكلمة آية في الفارسية تترجم ب (علامة) أو (نشانه) والأولى عربية و الثانية أيضاً لا تفي معني كلمة آية و تبقي كلمة (آية) مع صداها و جرسها.

المعتقدات

المعتقدات جمع المعتقد و هو العقيدة، مأخوذة من العقد و هو ربط الشيء، و اعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير، و العقيدة ما يدين به الإنسان. في معجم الوسيط:

43 – 45 لعدنان علي الرضاء :. أنظر كتاب: لما ذا اللغة العربية ص[24] النحوي.

اللسان و إنما إلى كافة البشرية من أمة الدعوة الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم فيعرفوا وحدانية الله و قدرته على الخلق و البعث و هؤلاء كانوا كثيرة و أجناساً و ألواناً و لغات فنبههم إلى التدبر و التفكر في مثل هذه الأمور للوصول إلى طريق الإسلام و الالتحاق بالفئة القليلة من الذين آمنوا.

و نعرف من الآية التي وردت في القرآن: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: 6].

و إن كان العرب أول مخاطبي القرآن و لكن سائر الأمم معنيون بالخطاب أيضاً من الإنس و الجن؛ فلغة العربية كما أنها لغة العرب لغة كل من آمن بالله رباً و بالإسلام ديناً و بمحمد نبياً و رسولاً.

ليس اللغات الأخرى كما أشرنا قبل إلا ليدل على آيات الله، و كون المسلمين عندما أصبحوا شعوباً و دولاً و مجموعات و أجناس ذات لغات خاصة لا ينافي أن تكون اللغة العربية لغة جميعهم جامعة لسائر المسلمين و قاسماً مشتركاً بينهم على اختلاف ألسنتهم المحلية و لهجاتهم الخاصة و رمزاً لهويتهم التي توحدهم داخل أمتهم و إنهم مطالبون بتعلمها و إتقانها و المحافظة عليها و ضمان انتشارها و استمرارها.

مرة أخرى نتصفح كتاب اللغة و الدين و الهوية حيث قال صاحبه ما ملخصه:

« و إذا قرأنا المعجم القرآني بمفرداته و تراكيبه نرى أنه قد سيطر على العربية الفصيحة سيطرة تامة حتى إن العربية الدارجة لم تخل من التأثير فكم من المسلمين لا يقول في كلامه العادي : بسم الله _ ماشاء الله _ الحمد لله _ حسبي الله _ إن شاء الله _ لا حول و لا قوة إلا بالله _ سبحان الله _ هداك الله _ رحمه الله _ لا اله إلا الله _ يا فتاح _ يا رزاق _ يا الله _ يا رحمن _ يا رحيم _ يا كريم _ العياذ بالله _ أعوذ بالله - غضب الله _ اتق الله و أمثالها.

هذا ما يؤكد إسلامية اللغة العربية بعد نزول الوحي بها و انتشارها في الآفاق بانتشار الفتوح و العلوم و تداول القرآن الكريم و ما حوله من ثقافة و أدب. و تأثير القرآن في حياة المسلمين قد يصل إلى أبعد من ذلك و أعمق، و يتجلى لك مرة أخري في أسمائهم التي أصبحوا يتسمون بها.

و يتجلى لك أيضاً في عادات الأفراح و الأتراح و المعايدة و النكاح و آداب الأكل و الشرب و النوم و اللباس و التحية و الاستقبال و التوديع و غيرها. و هكذا تصبح اللغة العربية جزءاً من حياة اليومية للمسلم بعاداتها و تقاليدها و تقلبات أحوالها »[22].

يقول دكتور محمد اشتاتو:

« واللغة العربية هي اللغة الأم و لغة التواصل لأكثر من 300 مليون عربي يعيشون في عدة دول عربية، و بالرغم من أن العديد من اللهجات الدارجة قد تفرعت عن هذه اللغة في مختلف المناطق العربية، فإن الفصيحة تبقي هي الملهم الأول، والمحرك الأساسي، للثقافة العربية غرباً و شرقاً، فهي لغة السياسة و الآداب و الإبداع و الصحافة و البحث و الإدارة و القانون و العلم و ما إلى ذلك. و هي لغة الدين و الثقافة الدينية و الروحية لأكثر من مليا رد من المسلمين »[23].

كما قلنا إن اللغة العربية أصبحت بعد نزول الوحي بها، رابطة قوية من الروابط التي تجمع بين المسلمين باعتبارها لغة مشتركة بينهم، لان بهذه اللغة كتب تراثهم الديني و الحضاري المشترك

. الود غيري. عبد العلي الود غيري (2000 م). اللغة والدين والهوية. ص: [22] 36 _42. دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى.

. **لغة الحق ولغة القانون**، الجزء الثالث منشورات معهد الدراسات و الأبحاث [23] والتعريب/2004م.

الأمر ليس أمراً بسيطاً بل الأمر عميق جداً يتعلق بأخطر أمور في حياة الإنسان وهي قضية فهم كتاب الله و سنة رسوله وعلى قدر ما تضعف اللغة العربية يضعف التلقي من منهاج الله و بقدرها يضعف الإيمان، إنها أمور مترابطة يغذي بعضها بعضاً و يضعف بعضها بعضاً ما دامت قوية أو ضعيفة عند الإنسان، لأن اللغة العربية و الإيمان بالله هما مفتاحا فهم كتاب الله و تدبره، القضية ليست قضية عابرة و لا دنيوية، إنها ترتبط بأخطر قضية في حياة الإنسان و أكبر حقيقة في الكون قضية التوحيد والإيمان و تلقيّ رسالة الإسلام.

إن اللغة لها دور خاص لتحويل الأفراد إلى مجموعة ثقافية مترابطة، و لا يوجد أي دين وعقيدة في العالم إلاّ و انتشرت بواسطة اللغة، و أي أمة انزوت و تخلت و تنازلت عن لغة دينها الأصلية إلاّ و تعرضت للانحراف و الانهيار و انسحبت عن هويتها الأصلية؛ فإذن اللغة العربية هي العروة الوثقى و قناة الاتصال بين المسلم و دينه، لأنها لغة القرآن الكريم و السنة النبوية و لغة الذين صنعوا تاريخ الإسلام، و لغة الدين الذي ارتضاه الله لهذه الأمة ليكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليهم شهيداً، و لا يبقى المؤمن مؤمناً و لا المسلم مسلماً إلاّ أن يقبل جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ يأيها الذين أمنوا أدخلوا في السلم كافة ﴾ [البقرة: 208]، و أهم ما جاء به الرسول القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، هناك قاعدة معروفة عند الفقهاء و هي: (ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب)، فمعرفة اللغة العربية واجبة دينية على كل مسلم، طبعاً هناك مراتب تختلف بالنسبة للمؤمن العادي و المؤمن المثقف.

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا واقفين عاملين بكتابه و أن يحشرنا مع نبيه و رسوله محمد العربي صلى الله عليه وآله و صحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن منظور. أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (1414هـ). لسان العرب. الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة.
3. أبويعلي، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (1404هـ – 1984م)؛ مسند أبي يعلى. دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى.
4. الأفغاني. سعيد الأفغاني (1971م). من حاضر اللغة العربية. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.
5. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ب ت) صحيح جامع الصغير و زياداته. الناشر: المكتب الإسلامي.
6. أنيس. عبد الله أنيس و رفاقه (1986م). المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
7. البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (1422هـ). صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى.
8. البستاني. فؤاد إفرام (2005م). منجد الطلاب- دار المشرق بيروت. الطبعة الحادية و الخمسون.
9. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (1423هـ/ 2003م). شعب الإيمان. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض

(العقيدة عبارة عن الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. و في الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل _ كعقيدة وجود الله و بعثة الرسل. جمع عقائد) [25].

و في منجد الطلاب: (المعتقد الاعتقاد: ما يعتقده الإنسان) [26].

و العقيدة في الشرع الإسلامي: هي الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و الإيمان بالقدر خيره و شره. و يظهر من التعريف اللغوي عدم الفرق بين الدين و المعتقد، لأن المعتقد ما يعتقد به الإنسان و يتدين به و إن كان هذه الاعتقاد باطلاً، لأن الله تعالى سمّى ما يعتقد به المشركون ديناً كما جاء في القرآن: ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ [كافرون: 6]. و يؤيد هذا بعض التعريفات الدين عند العلماء، و جاء في التعريف الذي اختاره القرضاوي: « الدين هو الاعتقاد الجازم بوجود ذات _ أو ذوات _ غيبية علوية، لها شعور و اختيار، و لها تصرف و تدبير للشئون التي تعني الإنسان، الاعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة و رهبة وفي خضوع وتمجيد وبعبارة مؤجزة هو: الإيمان بذات الإلهية، جديرة بالطاعة والعبادة»[27].

قال الدكتور فوزي محمد حميد: « هكذا كانت تعاليم الله عز و جل لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: ﴿ و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء: 25]. فجميع الرسل مبلغون الدعوة إلى وحدانية الله وعبادته من دون العالمين حيث قال: ﴿ وإلهكم إله واحد لاإله إلاّ هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة: 163]. فقد ظهر الرسل الذين دعوا إلى عبادة الإله الواحد الأحد. كما ظهر بعض الفلاسفة و الحكماء الذين حوّلوا أفكارهم إلى معتقدات الروحية أمثال بوذا، و كونفوشيوس، بينما اعتقد الفرس إن زرداشت أرسل نبياً لهدايتهم و كتابهم المقدس هو: « الأوفيستا ». يقول ابن عباس: « إن أهل فارس لما مات نبيهّم كتب لهم إبليس المجوسية »[28].

و خلال دراسة الموضوع اطلعت على بعض الآراء، يفرقّ بين الدين و المعتقد؛ أن الدين ينحصر اطلاقها على أديان سماوية كاليهودية و المسيحية و الإسلام، و المعتقدات مجالها عام و يشتمل على أديان سماوية و غير سماوية مثل البوذية و الهندوسية وغيرها من الديانات.

والذي أراه أنه ليس هناك فرق كبير بين الدين والمعتقدات لا سيماً بعد ما رأينا إن الله تعالى سمّى عقيدة المشركين ديناً؛ غير أن مصطلح المعتقدات لا يقتصر على الدين، و إن كانت المعتقدات الدينية هي الأكثر تماسكا و قدرة على الإستمرار و التأثير، و يمكن أن تتشكل المعتقدات حول آراء و أفكار و مشاعر سياسية أو قومية أو وطنية أو ... و الدين، بصفته منظومة عقائدية، هي توحيد مجموعة من الناس و تحقيق استمرار المجتمع موحداً في إطار صيرورة التاريخ. والله اعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب.

النتيجة

و في نهاية هذا البحث المتواضع المؤجز القصير حسب فهمي عن الدين و نصوصه وصلت إلى أن العلاقة بين اللغة و الدين علاقة قوية محكمة لا تقبل الانفكاك أبداً، كلما قوي و اشتد الإيمان يشتد علاقة الإنسان بلغة الدين و كلما تشتد العلاقة باللغة العربية يزداد المؤمن إيماناً، فكمال إيمان المؤمن معلق بفهمه اللغة العربية، لأن

---

[25]. المعجم الوسيط، ص/489 .

[26]. منجد الطلاب ص/ 489 دار المشرق بيروت 1986م.

[27]. مدخل لمعرفة الاسلام للدكتور يوسف قرضاوي.

[28]. عالم الأديان بين الاسطورة والحقيقة للدكتور فوزي محمد حميد ص/12-13 دمشق دار حطين /1993.

بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
10. التويجري.عبد العزيز بن عثمان (2004م). مستقبل اللغة العربية. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو.
11. حميد، فوزي محمد حميد (1992م). عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. دمشق دار حطين.
12. حوى، سعيد حوى (1992 م). الإسلام. الناشر: شركة شهاب الجزائر.
13. زكار. سهيل زكار (ب ت). المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي. الناشر: دار الكتب العربي – دمشق – القاهرة.
14. سيد قطب (1982م). معالم الطريق. بيروت لبنان، الطبعة السابعة.
15. سيلا. محمد سيلا و عبد السلام بن عبد العالي (1994م). دفاتر فلسفية نصوص مختارة. دار توبقال للنشر الطبعة الأولى.
16. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ب ت). الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني. الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء – اليمن.
17. الطبراني، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (1404هـ - 1983م). المعجم الكبير المعجم الأوسط. الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل الطبعة الثانية.
18. الطبراني، أبوالقاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ب ت). المعجم الأوسط. ج: 6، ص:92. الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
19. القرضاوي. يوسف القرضاوي (2005م). مدخل لمعرفة الإسلام، مقوماته، خصائصه، أهدافه، مصادره. الناشر: مكتبة وهبة القاهرة.
20. قورة. حسين سليمان قورة (1986م). تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي للدكتور الطبعة الثالثة_ دار المعارف القاهرة.
21. مدكور. علي احمد (1997م). نظريات المناهج التربوي. الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.
22. معهد الدراسات والأبحاث (2004م). للغة الحق ولغة القانون. الجزء الثالث. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.
23. النحوي. عدنان علي الرضاء (1998م). لماذا اللغة العربية. دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
24. الود غيري. عبد العلي الود غيري (2000م). اللغة والدين والهوية. دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى.